

ضم وسكون

مجموعة مؤلفات



إشراف

منى قبس دخيل

"إهداء"

أهدي هذا الكتاب لحييتي وأمي ووطني سوريا

وإلى كل الشعب السوري.

"المُقدِّمة"

ضمّ وسكون، كتاب يحمل بين سطوره المُتعبة رسائل حبّ و حربٍ من كاتبات مبدعات إلى بلد الياسمين وتاريخ وطن مرّ بسنين عصيبة كادت أن تودي بحياته لكنّ الله رفعه وحفظه بين الكاف والنون فقال " كن فيكون"

سنروي لكم حكاية سجّلها التاريخ على صدره ونقشها على جدران الزّمن منذُ خروج الاحتلال الفرنسي من وطني وحتى يومنا هذا كي لا ننسى أو نتناسى جراح الماضي وخدوج الحاضر.

فهيا لتتعرف على ملامح روايتنا....

"ولادة الدولة" (1946)

في ربيع عام 1946، غادرت آخر القوّات الفرنسية أرض سوريا. خرج النّاس إلى الشّوارع، يلوّحون بالأعلام ويهتفون للحرية. كانت دمشق وأخواتها ترقص فرحًا، وكأنّها عروس خرجت من بيت أبيها لتبدأ حياة جديدة. لكنّ هذه العروس لم تكن تعرف أن الطّريق أمامها مليء بالعواصف.

"زمن الانقلابات" (1949-1954)

لم يمضِ وقت طويل حتّى اهتزت البلاد بأوّل انقلاب عسكري في العالم العربي الحديث، قاده حسني الزعيم في آذار 1949. بدا الأمر كأنّه صدمة، فالشّعب الذي حلم بالديمقراطية وجد نفسه أمام حكم العسكر.

لكنّ المسرح لم يهدأ؛ بعد أشهر جاء سامي الحناوي بانقلاب جديد، ثم أديب الشيشكلي الذي حكم بقبضة قوية حتّى أطاحت به انتفاضة شعبية عام 1954.

كانت سوريا في تلك السّنوات مثل سفينة تتقاذفها الأمواج، كلّ قائد يرفع راية جديدة، والنّاس يتأرجحون بين الأمل والخيبة.

"حلم الوحدة" (1958-1961)

في شباط 1958، ارتفعت الأصوات القومية، واندفعت سوريا نحو وحدة مع مصر بقيادة جمال عبد الناصر.

وُلدت "الجمهورية العربية المتحدة"، وعمّت الحماسة الشّوارع.

لكن سرعان ما اكتشف السّوريون أنّ الوحدة لم تكن وردية كما تخيلوا.

السّياسات المركزية القادمة من القاهرة أضعفت النّخب السّورية، والتّأميمات أثارت غضب

التّجار والصّناعيين.

وفي أيلول 1961، وقع الانفصال، وعادت سوريا لتقف وحدها، مُثقلة بخيبة أمل كبيرة.

لكن قبل أن نُكمل، سأسألكم مع العمّ رائد ليروي لكم بعض مذكراته.

رواية رائد - فصول من دفترٍ قديم

أنا رائد، رجلٌ مسن، أكتب في دفترتي الذي اصفرّت أوراقه من طول العمر، وأحاول أن أروي للأجيال القادمة ما عشته بين الأسواق والمآذن والجنود، بين حزيران وتشرين، بين الأمل والخيانة.

هذه ليست مجرد أحداث، بل حياة كاملة، فصلاً بعد فصل.

الفصل الأوّل: بدايات الصّعود (1964-1966)

كنت في دمشق حين بدأ اسم حافظ الأسد
يتردد في المعسكرات.
ضابط صامت، قليل الكلام، لكنه يعرف كيف
ينسج خيوط التفوذ بخطوات محسوبة.
عام 1964 تولى قيادة القوى الجوية والدفاع
الجوي، ثم جاء انقلاب 23 شباط 1966
ليضعه وزيراً للدفاع.
في المقاهي والأسواق، كان الناس يتجادلون:
هل هو رجل المرحلة أم مجرد ضابط آخر في
سلسلة الانقلابات؟ كنت أراقب بعين قلقة،
وأشعر أن شيئاً أكبر يُحاك في الخفاء.

الفصل الثاني: حزيران المزم (1967)

ذلك الصّباح لا أنساه.
جلست بجوار الراديو الخشبي في بيتنا،
وصوت المذيع يعلن البيان رقم 66:
"سقطت القنيطرة".

ارتجف البيت، ارتجفت القلوب، خرج الناس
إلى الشوارع مذهولين، بعضهم يبكي، بعضهم
يصرخ.

لكن الحقيقة أن المدينة لم تسقط بعد، والعدو
لم يدخلها.

شعرتُ أن الخيانة ليست كلمةً عابرة، بل جرحًا
مفتوحًا في صدر الوطن.

أحمد سويداني صاح بالخيانة، والناس انقسموا
بين مصدِّقٍ ومكذِّب، لكنَّ الهزيمة كانت أكبر من
الجميع.

الفصل الثالث: موت عبد الكريم الجندي
(1969)

ثم جاء خبر العقيد عبد الكريم الجندي.
قالوا إنَّه انتحر، لكنَّ رسائله كانت كالرصاص،
تتهم الأسد بالخيانة والعمالة.
كنتُ أقرأ تلك الكلمات في الصحف، وأشعر أن

النظام ينهار من الداخل، وأن الضباط يلتهمون بعضهم بعضاً.

لم يكن موت رجل واحد، بل موت ثقة كاملة في المؤسسة التي قيل إنها تحمي البلاد.

الفصل الرابع: الحركة التصحيحية (1970)

في الخريف، اجتمع المؤتمر القومي ليُقبل الأسد من وزارة الدفاع.

كنتُ أظن أن الأمر انتهى، لكن الرجل كان قد أمسك بالخيط كلها.

بعد أسابيع، قلب الطاولة عليهم، وأطلق ما سُمي بالحركة التصحيحية.

رأيتُ صورته على الجدران، وسمعت الهتافات في الشوارع، وعرفت أن سوريا دخلت عهداً جديداً، عهد رجل واحد يمسك بكل شيء.

الفصل الخامس: حرب تشرين (1973)

حين اندلعت الحرب، تغيّرت الشوارع.
النّاس خرجوا يهتفون، يرفعون الأعلام،
يوزعون الحلوى.
في الأيام الأولى، كان الأمل يملأ القلوب، كأن
دمشق كلّها تنفست من جديد.
لكن حين اقتربت القوّات الإسرائيلية من
مشارف العاصمة، خفتت الأصوات، وأغلقت
النوافذ، وصار الخوف ضيفاً في كلّ بيت.
ومع ذلك، بقيت الحرب في ذاكرة النّاس كرمزٍ
للصمود، ولو لم تُحرر الأرض.

الفصل السادس: الأسواق والمآذن والجنود

كنتُ أمشي في سوق الحميدية، أسمع أصوات
الباعة ينادون على بضائعهم، رائحة التّوابل
تختلط برائحة القهوة الطّازجة.
النّساء يساو من التّجار، والأطفال يركضون بين
الأزقة.

وفي اللّيل، كانت المآذن ترفع الأذان بصوتٍ
حزين، كأنّها تبكي مع النّاس.
الجنود العائدون من الجبهة كانوا يحملون
وجوهًا مغبرة وعيونًا متعبة، بعضهم يبتسم
رغم الألم، وبعضهم صامت كالحجر.
كانوا يحملون قصصًا لا تُروى، عن معارك
خاسرة وعن رفاقٍ لم يعودوا.

الخاتمة:

يا ابنتي، بين حزيان وتشرين، بين سقوط
القنيطرة وصمود دمشق، عشتُ سنواتٍ كأنّها
قرون.
رأيتُ كيف تتحول الهزائم إلى سلّم يصعد عليه
رجلٌ واحد نحو السلطة المطلقة. البعض سمّاه
بطلًا، والبعض سمّاه خائنًا، أما أنا فأقول:
التّاريخ لا يُكتب بالبيانات ولا بالصّور المعلقة
على الجدران، بل بدموع النّاس، بصمت المدن

التي سقطت، وبأملٍ لم يمت في قلوبنا رغم كل شيء.

شكرًا للعمّ رائد.

والآن نكمل سرد الأحداث لكم .

"زمن البعث" (1963-1970)

في آذار 1963، جاء انقلاب جديد حمل معه حزب البعث إلى السلطة. رفع البعثيون شعار "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"، وبدأوا بتغيير وجه الدولة. أعلن الإصلاح الزراعي، ووزعت الأراضي على الفلاحين، وتأمّمت البنوك والمصانع. في المدن، شعر التجار أن زمنهم انتهى، بينما في الريف بدأ الفلاحون يرفعون رؤوسهم لأول مرّة.

لكن داخل الحزب نفسه، كانت الصراعات

تشتعل بين أجنحة مختلفة: صلاح جديد من جهة، وحافظ الأسد من جهة أخرى.

" الحركة التصحيحية " كما سمّوها (1970) في تشرين الثاني 1970، وبعد سنوات من التوترات والانقسامات، خرج حافظ الأسد من قلب المؤسسة العسكرية ليقود ما سُمّي بـ"الحركة التصحيحية".

كان المشهد أشبه بختام مسرحية طويلة: رجل واحد يعتلي خشبة المسرح، يعلن بداية عهد جديد، عهد الاستقرار السلطوي بعد ربع قرن من الانقلابات والتجارب الفاشلة.

منذ تلك اللحظة، دخلت سوريا مرحلة مختلفة تمامًا، حيث تركزت السلطة في يد الأسد، وبدأت قصة أخرى ستستمر لعقود.

منذ خروج فرنسا عام 1946 وحتى وصول الأسد عام 1970، كانت سوريا أشبه بفتاة تبحث عن هويتها بين الانقلابات، الوحدة،

الاشتراكية، والتنوع الاجتماعي.
كلّ فصل من هذه القصّة ترك أثره العميق في
وجدان الشعب، حتّى جاء الأسد ليغلق كتاب
الفوضى ويفتح كتابًا جديدًا عنوانه
الاستقرار بالقوّة.

"القبضة الحديدية"

منذ أن استلم الأسد الحكم عام 1970، كان
يعرف أن الاستقرار لا يأتي فقط عبر الشّعارات،
بل عبر السيطرة المطلقة.
الأجهزة الأمنية أصبحت كالعين التي لا تنام:
المُخابرات العسكرية، الجوية، وأمن الدولة، كلّها
تراقب الناس في الشوارع والجامعات
والمصانع.

- أي صوت معارض، مهما كان صغيرًا، كان
يُعتبر تهديدًا.

الاعتقالات طالت المثقفين، الإسلاميين،

اليساريين، وحتى بعض البعثيين الذين اختلفوا
مع القيادة.

"مواجهة المعارضة الإسلامية"

في أواخر السبعينيات، تصاعدت المواجهة مع
الإخوان المسلمين الذين رفضوا حكم البعث.
- بدأت عمليات اغتيال وتفجيرات ضد النظام،
وردّت السلطة بحملة اعتقالات واسعة، وتعذيب
في السجون، وإعدامات علنية.
- ذروة هذه المواجهة كانت في مدينة حماة
عام 1982، حين شنّ النظام حملة عسكرية
واسعة لسحق التمرد.
المدينة دُمّرت بشكل كبير، وسقط آلاف القتلى
من المدنيين والمقاتلين.
هذه الحادثة أصبحت رمزًا لوحشية النظام في
مواجهة معارضيه.

وقبل أن نكمل.

سأدع السيدة خنساء تروي لكم ما حدث في حماه .

أنا خنساء، امرأة من حماة، أروي لكم بلسانٍ مثقل بالذاكرة ما جرى في شباط 1982، حين تحوّلت مدينتي إلى أنقاض وصارت الحياة نفسها شاهدة على المجزرة.

بداية الحصار

في الثاني من شباط 1982، أُغلقت أبواب حماة، وانقطعت الكهرباء والاتصالات، كأنّ المدينة عُزلت عن العالم. كنتُ أسمع وقع أقدام الجنود في الأزقة، وأرى الدخان يتصاعد من البيوت القديمة. سرايا الدفاع بقيادة رفعت الأسد، ومعها

وحدات من الجيش، أحاطت بالمدينة، ثم بدأ
القصف المدفعي ينهال بلا رحمة.

أيام النار والدّم

استمر الحصار والقصف أكثر من سبعة
وعشرين يومًا.

في النهار، كانت المدافع تهدم البيوت، وفي
الليل، كانت أصوات الرصاص تختلط بصراخ
النساء وبكاء الأطفال.

أحياء كاملة، مثل الحاضر والبارودية، تحولت
إلى ركام.

لم يعد هناك فرق بين بيت ومسجد، بين سوق
وشارع.

كلّ شيء صار رمادًا.

كنتُ أرى الجثث تُسحب على عجل، وأسمع
أسماءً تُمحى من السجلات.

قيل إن عدد الضحايا بلغ ما بين 17 ألفًا إلى

40 ألفًا، وبعض الروايات تحدثت عن آلاف
المفقودين الذين لم يُعرف مصيرهم.
لم يكن الموت وحده هو الفاجعة، بل اختفاء
الناس، غيابهم المفاجئ، كأنّ الأرض ابتلعتهم.

المدينة الممنوعة

في منتصف شباط، كانت إذاعة لندن تقول إن
حماة ما تزال محاصرة، وإن الصحفيين
ممنوعون من دخولها.
لم يكن أحد يعرف ما يجري داخل الأسوار
سوى نحن الذين كنا نعيش الجحيم.
كلّ يوم كان يمرّ كعقوبة، وكلّ ساعة كاختبار
للبقاء.

خيانة الذاكرة

حين انتهى الحصار في أواخر شباط، لم تعد

حماة هي نفسها.

البيوت القديمة التي كانت تحكي تاريخًا طويلًا
صارت أنقاضًا، والوجوه التي كانت تملأ
الأسواق غابت إلى الأبد.
بقيت المدينة تحمل ندوبها، وبقيت أنا خنساء
أحمل في قلبي صورًا لا تمحوها السنين.

"خاتمة"

أحداث حماة لم تكن مجرد معركة بين سلطة
ومعارضة، بل كانت مجزرة أحرقت الأرض
والذاكرة معًا.

أنا خنساء، امرأة من تلك المدينة، أقول إن
التاريخ لا يُكتب بالبيانات الرسمية، بل بدموع
الأمّهات، بصمت البيوت المهدمة، وبأسماء
الذين غابوا ولم يعودوا.

والآن نكمل مجريات الأحداث.

إسكات المثقفين والمعارضين السياسيين.

لم يكن القمع موجَّهًا فقط للإسلاميين، بل شمل
كلَّ من حاول أن يرفع صوته:

المثقفون الذين طالبوا بحرية الصحافة أو
الديمقراطية وجدوا أنفسهم في السجون.

الأحزاب المعارضة، مثل الحزب الشيوعي أو
الناصريين، وُضعت تحت المراقبة، وأُجبر كثير
من قادتها على الصمت أو المنفى.

- حتَّى داخل حزب البعث نفسه، أي جناح أو
شخصية حاولت منافسة الأسد أقصيت أو
أبعدت.

النَّاس في حياتهم اليومية كانوا يعيشون تحت
ظلَّ الخوف: كلمة في مقهى، أو تعليق في
الجامعة، قد يؤدي إلى استدعاء من المخابرات.

السَّجون مثل تدمر تحوَّلت إلى رمز للرعب،
حيث يُروى عن التعذيب الوحشي والإعدامات

الجماعية، هذا الخوف خلق حالة من الصّمت العام، حيث فضّل النّاس الانشغال بأمورهم الخاصة، وترك السّياسة للنظام وحده. كان الأسد يظهر كقائد قومي، بطل حرب تشرين، وحامي الاستقرار. لكنّ خلف هذه الصّورة، كان هناك واقع من القمع والوحشية، حيث أُخمدت كلّ أشكال المعارضة، وأعيد تشكيل المجتمع ليكون تحت سيطرة الحزب والأجهزة الأمنية. لقد نجح الأسد في أن يجعل سوريا دولة مستقرة من الخارج، لكنها في الدّاخل كانت أشبه بسجن كبير، تُدار بالولاء والخوف. فمرحلة حكم حافظ الأسد لم تكن فقط قصة بناء دولة، بل أيضًا قصة قمع شامل. من حماة إلى تدمر، ومن الجامعات إلى الصحف، كان النّظام يواجه كلّ صوت معارض بالحديد والنّار. وهكذا، استمر حكمه ثلاثين عامًا، ترك خلالها

إرثاً من الاستقرار الممزوج بالخوف، والسلطة
الممزوجة بالوحشية.

وفي عام 1994 تغيّرت مجريات الأحداث
بموت باسل الأسد بحادث سير مفاجئ.
حيث كان من المقرر أن يستلم الحكم بعد
حافظ الأسد.

وهنا بدأ التّحضير لتجهيز بشار الأسد ليكون
البديل.

وفي حزيران 2000، رحل حافظ الأسد بعد
ثلاثين عاماً من الحكم، وترك وراءه دولة مبنية
على الخوف والقبضة الأمنية.

خلال أيّام، تحركت مؤسسات النظام بسرعة:
عُدّل الدّستور ليُخفض سن الرئيس من 40 إلى
34 عاماً، ليتناسب مع عمر بشار.

وفي 17 تموز 2000، أدّى القسم رئيساً
للجمهورية.

ظهر بشار أمام الشعب بوجه مختلف: شاب
درس الطّب في بريطانيا، يتحدث عن

التكنولوجيا والإنترنت، ويعد بالإصلاح والانفتاح.

بدا وكأن سوريا تدخل فصلًا جديدًا من الرواية.

ربيع دمشق (2000-2001)

مع بداية حكمه، ساد شعور بالأمل. المثقفون والناشطون أسسوا منتديات سياسية وثقافية، ناقشوا الديمقراطية وحقوق الإنسان، وطالبوا بإلغاء حالة الطوارئ المستمرة منذ عام 1963.

لكن هذا "الربيع" لم يدم طويلًا. سرعان ما أغلقت المنتديات، واعتُقل الناشطون، وأعيد المجتمع إلى الصمت. كان ذلك أول إشارة أن النظام لم يتغير في جوهره، وأن القبضة الحديدية التي بناها حافظ الأسد ما زالت قائمة.

الأجهزة الأمنية بقيت العمود الفقري للنظام، تراقب كل شيء: الجامعات، الصحف، المساجد،

وحتى المقاهي ليستمرّوا على النهج القديم .
السّجون مثل صيدنايا وتدمر استمرت كرموز
للرعب، حيث يُروى عن التعذيب والانتهاكات.
أي محاولة لتنظيم سياسي مستقل كانت تُقمع
بسرعة، وأي احتجاج يُواجه بالاعتقال أو القوّة.

وهكذا، ورث بشار إرث أبيه في القمع، وأكمل
الرّواية بنفس الأسلوب، لكن بوجه شاب
وحديث.

في بداية الألفية، حاول النّظام إدخال بعض
الانفتاح الاقتصادي: السّماح بالاستثمارات
الخاصة، فتح البنوك الخاصة، وتشجيع قطاع
الاتّصالات.

لكنّ الفساد ظلّ متغلغلاً، والطّبقة المرتبطة
بالنّظام هي المستفيد الأكبر.

الطّبقة الوسطى تراجعَت، بينما صعدت طبقة
جديدة من رجال الأعمال المرتبطين بالسلطة،
مثل رامي مخلوف، ابن خال الرئيس، الذي

أصبح رمزاً لاحتكار الاقتصاد.
الناس شعروا أن وعود الإصلاح لم تصل إليهم،
وأن الفقر والبطالة ما زالت تخنق حياتهم
اليومية.
الشباب الذين حلموا بالتغيير وجدوا أنفسهم
أمام جدار من الرقابة.
الإعلام بقي تحت السيطرة، رغم السماح ببعض
الصحف الخاصة، لكنها لم تستطع تجاوز
الخطوط الحمراء.
المجتمع عاش بين وعود الإصلاح وخيبة
الأمل، حيث بقيت الحرية بعيدة، والرقابة
حاضرة في كل مكان.
الناس تعلموا أن يتحدثوا في بيوتهم بصوت
منخفض، وأن يزنوا كلماتهم في المقاهي
والجامعات، خوفاً من العيون التي لا تنام.
فالجدران لها آذان .

(2000-2011)

مع مرور السّنوات، تراكمت الأزمات:

الفساد يزداد.

الاقتصاد يترنح.

القمع يشتد.

المجتمع يغلي تحت السطح.

كان المسرح مهياً لانفجار كبير، وجاءت ثورات

الربيع العربي عام 2011 لتفتح فصلاً جديداً

من الرّواية السّورية، حيث خرج الشّعب إلى

الشّوارع مطالباً بالحرية، ليواجه النّظام

بوحشية غير مسبوقة.

عهد بشار الأسد منذ عام 2000 لم يكن مجرد

انتقال من الأب إلى الابن، بل كان استمراراً

لإرث القمع، مع وعود إصلاح لم تتحقق،

واققتصاد ينهكه الفساد، ومجتمع يعيش بين

الأمل والخوف.

لقد بدا وكأن سوريا تعيش عرضاً جديداً على

المسرح نفسه، بطل جديد بوجه شاب، لكن

النّص هو ذاته الذي كتبه الأب: الاستقرار بالقوّة،

والقمع للمعارضين، والسّيطرة المطلقة للحزب
والأجهزة الأمنية.

وفي عام 2011 بدأت الحكاية.

سيرويها لكم " مظلوم "

مرحبا بكم، أنا مظلوم.

خرجت أولى الهتافات في درعا عام 2011 وأنا
أحمل هذا الاسم كقدرٍ لا فكاك منه.
كنت شابًا عاديًا، أدرس في الجامعة وأحلم
بمستقبل بسيط، لكن كلمة "حرية" التي
صدحت بها الحناجر جعلتني أرى العالم بشكل
مختلف.

خرجت مع رفاقي نهتف، نكتب على الجدران،
نوزع المناشير، ونصور المظاهرات بكاميرات
صغيرة، ولم نكن نعلم أن تلك اللحظة ستفتح

أبواب جحيم طويل.

في الأيام الأولى، كان الأمل أكبر من الخوف.
كنا نعتقد أن العالم يسمعنا، وأن الشعارات تكفي
لتغيير الواقع.

لكن سرعان ما جاء الرد بالرصاص والاعتقالات.

في إحدى الليالي،

طرقوا باب بيتنا، اقتادوني بلا تفسير، ومنذ
تلك اللحظة بدأت رحلتي في أقبية الظلام.

الزنزانة ضيقة، جدرانها رطبة، والهواء فيها
أثقل من الحديد.

هنا تعلمت أن الزمن لا يمشي، بل يتعفن.
كانوا يدخلون علينا كل يوم، ينهالون بالأسئلة
واللكمات، يريدون أن نمحو من ذاكرتنا فكرة
الحرية.

لكنني كنت أقاوم بالصمت، وأكتب في ذهني

رواية لن يقرأها أحد إلا إذا خرجت حيًّا.
سمعت صرخات من خلف الجدران، أسماء
تتلاشى في العتمة، وجوه لم أرها لكنني
حفظت أنينها.

في تلك اللحظات، أدركت أن سوريا كلّها
تحوّلت إلى سجن كبير.

في المعتقل، لم يكن الجوع وحده عدوّنا، بل
الخوف الذي يتسلل إلى العظام.

كنا نقسم كسرة خبز يابسة، ونشرب ماءً عكرًا،
ونحاول أن نضحك أحيانًا كي لا نموت من
الداخل.

كنت أكتب على الجدران بأظفري كلمات
صغيرة: "لن نموت"، "سنخرج"، "سوريا لنا".

تلك الكلمات كانت سلاحِي الوحيد في مواجهة
العتمة.

ومع مرور الأيام،

صار المعتقل مرآةً تعكس وجوه سوريا كلّها:
الطالب، الطّبيب، الفلاح، الطّفل، المرأة، كلّهم

اجتمعوا في قبو واحد، وكلّهم دفعوا ثمن كلمة
واحدة: حرية.

خرجت من السّجن بعد سنوات، لكنني لم أجد
سوريا التي تركتها.
المدن التي كانت تضج بالحياة صارت أنقاضاً،
والبيوت تحوّلت إلى ركام، والشوارع إلى مقابر
مفتوحة.

الثّورة التي بدأت بالهتاف واللافتات تحوّلت
إلى حرب معقدة، فيها عشرات الرّايات
واللاعبين، وكلّ يكتب روايته الخاصة على
أرضنا.

في البداية، ظهر الجيش الحر، مجموعة من
الضّباط والجنود الذين انشقوا عن النّظام،
رفعوا شعار حماية المتظاهرين والدّفاع عن
الأحياء.

كانوا يحلمون بجيش وطني جديد، لكن سرعان
ما وجدوا أنفسهم بلا دعم كافٍ، يقاتلون
بأسلحة خفيفة في مواجهة طائرات ودبابات.

ثم جاءت الفصائل الإسلامية، مثل جبهة
النصرة وأحرار الشام، التي رفعت رايات
العقيدة والجهاد.

كثيرون انجذبوا إليها بعدما فقدوا الثقة في
العالم الخارجي، فصار الدين هو الملاذ الأخير.
لكنّ هذه الفصائل لم تكن متشابهة؛ بعضها قاتل
دفاعًا عن الناس، وبعضها سعى لإقامة حكم
خاص به، فزاد الانقسام.

وفي الشرق تمّد تنظيم الدولة "داعش"، الذي
حوّل الأرض إلى مسرح للرعب.
فرض تفسيرًا متشددًا للدين، أقام محاكمه
الخاصة، وأعدم كل من خالفه.

صار الناس بين مطرقة النظام وسندان
التطرف، لا يعرفون أين يجدون الأمان.
في الشمال، برزت القوى الكردية، تبحث عن
حكم ذاتي، تبني إداراتها الخاصة، وتقاتل دفاعًا
عن أرضها.

ومع دخولها في مواجهة مع داعش أحيانًا، ومع

النظام أحيانًا أخرى، صار المشهد أكثر تعقيدًا.
المعارضة الخارجية لم تكن أفضل حالًا؛
اجتمعت في مؤتمرات، انقسمت بين ولاءات
وداعمين، وتحدثت من فنادق بعيدة بينما
الناس يموتون في الداخل.

أما المعارضة المسلحة، فانقسمت بين ولاءات
لدول مختلفة، فصار لكل فصيل داعم، ولكل
داعم أجندة، وكل ذلك على حساب دماء
السوريين.

العقائد كانت وقودًا للحرب: الحرية كعقيدة
أولى، الدين كراية ثانية، الطائفية والقومية
كرايات ثالثة.

كل طرف يرى نفسه صاحب الحق، وكل طرف
يكتب روايته الخاصة، لكن الضحية الكبرى
كانت دائمًا المدنيين الذين لم يبحثوا إلا عن
حياة بسيطة، عن بيت آمن، عن مدرسة
لأطفالهم، عن مستشفى لا يُقصف.

حين خرجت من السجن ورأيت الثورة وقد

تحوّلت إلى حرب، أدركت أن سوريا لم تعد ملكاً
لأبنائها وحدهم.

الأرض صارت مسرحاً تتقاطع فيه جيوش
وأعلام، وكلّ قوّة خارجية جاءت تحمل عقيدة
أو مصلحة، وكلّها تركت بصمتها على دماننا.
إيران دخلت بثقلها، تحمل شعار "المقاومة"،
وترسل رجالها من الحرس الثوري، ومعهم حزب
الله من لبنان.

كانوا يقولون إنهم يدافعون عن محور المقاومة
ضد إسرائيل وأمريكا، لكننا نحن الذين دفعنا
الثمن.

الطائفية اشتعلت، والشّيعّة الذين جاؤوا للقتال
إلى جانب النظام جعلوا الصراع أكثر تعقيداً،
فصار الدّم السوري وقوداً لعقائد متشابكة.

ثم جاءت روسيا، بطائراتها وصواريخها، لتعيد
للنظام أنفاسه حين كان على وشك السقوط.

لم تكن روسيا تقاتل فقط، بل كانت ترسم
خريطة جديدة للمنطقة، وتثبت نفوذها على

المتوسط.

كلّ غارة كانت تعني عشرات الأرواح، وكلّ تدخل كان يغير ميزان القوى.

تركيا دخلت من الشّمال، فتحت حدودها للاجئين، لكنها أيضًا دعمت فصائل معينة، تبحث عن نفوذها الخاص، وعن منع الأكراد من إقامة كيان مستقل.

الأكراد بدورهم أقاموا إداراتهم الذاتية، رفعوا راياتهم، وحلموا بدولة أو حكم ذاتي، فصاروا في مواجهة مع تركيا، ومع النّظام، ومع داعش أحيانًا.

أمّا الولايات المتحدة، فقد جاءت تحت شعار محاربة الإرهاب.

ركزت على قتال داعش أكثر من دعم الثّورة نفسها، فأرسلت قوّاتها إلى الشّرق، ودعمت الأكراد، لكنّها تركت السّوريين في مواجهة مفتوحة مع النّظام والفصائل الأخرى.

كان حضورها يعني أن الحرب لم تعد محلية،

بل عالمية.

الخليج أيضًا دخل على الخط، دعم بعض الفصائل المعارضة، كل دولة وفق رؤيتها، وكل دعم مشروط بولاءات سياسية أو عقائدية. فصار لكل فصيل داعم، ولكل داعم أجندة، وكل ذلك على حساب دماء السوريين.

السياسة الدولية جعلت سوريا ساحة صراع عالمي، حيث تتقاطع العقائد: المقاومة، الطائفية، القومية، الدين، الحرية.

وكل طرف يرى نفسه صاحب الحق، لكننا نحن الناس العاديين لم نكن نبحث عن السلطة ولا عن النفوذ، كنا نبحث عن بيت آمن، عن مدرسة لأطفالنا، عن مستشفى لا يُقصف، عن حياة بسيطة.

ومع ذلك، كنا ندرك أن العالم كله يتفرج علينا، وأن دماءنا صارت أرقامًا في نشرات الأخبار. حين طال أمد الحرب، لم يعد القصف وحده يقتلنا، بل الجوع أيضًا.

الاقتصاد انهار كما تنهار البيوت تحت
الصواريخ.

الليرة السورية فقدت قيمتها، وصار الدولار
والذهب حديث كل بيت.

الناس يقيسون حياتهم بالعملة، لا بالأيام.
كل صباح، يسأل الأب أبناءه: كم صار الدولار
اليوم؟ لأن سعره يحدد إن كان سيستطيع شراء
الخبز أو لا.

وفوق هذا وذاك جاء قانون قيصر كعقوبة
جديدة، شدد الخناق على النظام، لكنه شدد
أيضاً على الناس.

ارتفعت الأسعار بشكل جنوني، وصار الحصول
على الدواء حلماً، والخبز معركة يومية.
الأسواق فارغة، والرواتب لا تكفي لشراء شيء.
كثيرون باعوا أثاث بيوتهم ليشتروا الطعام،
وبعضهم باع ذهب زوجته ليؤمن الدواء لطفله.
الغذاء صار شحيحاً، والناس يقتاتون على ما
تيسر: عدس، أرز، خبز يابس.

اللّحوم غابت عن الموائد، والفواكه صارت
رفاهية لا يراها إلا الأغنياء.

التّعليم انهار؛ المدارس تحوّلت إلى أنقاض أو
ملاجئ، والمعلمون هاجروا أو تركوا العمل.
الأطفال يكبرون بلا كتب، بلا أقلام، بلا صفوف،
وبعضهم بلا أحلام.

في المخيمات، الخيام البيضاء تصطف كقبور
مفتوحة.

البرد ينهش أجساد الأطفال، والحرارة في
الصيف تحوّل الخيمة إلى فرن.

النازحون يعانون من سوء المعاملة، يُنظر إليهم
كغرباء حتّى في أرضهم.

كثيرون لم يجدوا سوى البحر طريقًا للهروب،
فركبوا قوارب الموت، وغرقوا في طريقهم إلى
أوروبا، ليصبح البحر مقبرة جديدة للسوريين.

الذهب صار ملاذًا أخيرًا، الناس يخبئونه في
البيوت، لأنّه وحده يحفظ قيمة وسط الانهيار.
لكن حتّى الذهب لم يعد كافيًا أمام جشع

التّجار وغلاء الأسعار.

كلّ شيء صار يقاس بالدولار، حتّى الأحلام.
التعليم، الغذاء، الصّحة، كلها انهارت، وصار
البقاء نفسه معركة يومية.

حين اشتدت الحرب، لم يعد أمام النّاس سوى
النّزوح.

ملايين خرجوا من بيوتهم، بعضهم إلى
المخيمات، بعضهم إلى المنافي، وبعضهم إلى
المجهول.

كنت واحدًا منهم، أحمل حقيبة صغيرة فيها
صورة أمي وكتاب قديم وبعض أمتعتنا،
وأمشي مع عائلتي بين جموع تبحث عن مكان
آمن.

لكنّ الأمان كان وهمًا، والخيمة لم تكن بيتًا، بل
قبرًا مؤقتًا.

في المخيمات، الخيام البيضاء تصطف دون
مراعاة الخصوصية و البرد يجمّد أجساد
الأطفال، والحرارة في الصّيف تحرقهم.

المطر يحوّل الأرض إلى طين، والريّح تقتلع
الخيام كأنّها ورق.

كثيرون يقفون في طوابير طويلة للحصول
على كسرة خبز أو لتر ماء، وبعضهم يعود صفر
اليدين.

كنت أرى وجوهاً فقدت كلّ شيء إلا الأمل:
رجل يحمل صورة شهيد في حقيبته، امرأة
تحمل أطفالها وحدها، طفل لا يعرف سوى
الخيمة بيّناً.

ومع ذلك، تسمع ضحكات صغيرة تحاول أن
تتحدى الموت، كأنّها تقول إن الحياة أقوى من
الخراب.

لكن خلف تلك الضحكات، هناك دموع لا تنقطع،
وقلوب تتشقق من الحزن.

بعضهم يعمل في سن صغيرة ليعيل أسرته،
وبعضهم يضيع بين الخيام بلا مستقبل.

النساء يحملن عبء الحياة وحدهن، والرجال
يتنقلون بين الحدود بحثاً عن عمل أو أمل.

كلّ يوم في المخيم هو معركة للبقاء، وكلّ ليلة هي امتحان للصبر.

المعاملة السيئة كانت جرحًا آخر.

النازيون يُعاملون بسوء، يُحرّمون من أبسط الحقوق، يُنظر إليهم بعين الشفقة أو الاستغلال. كثيرون فقدوا كرامتهم قبل أن يفقدوا بيوتهم، وصاروا يعيشون على هامش الحياة، بلا صوت، بلا حق، بلا وطن.

ومع ذلك، كانوا يتمسكون بخيط رفيع من الأمل، يرددون في سرهم: سنعود يومًا، مهما طال الغياب.

حين ضاقت الأرض بما رحبت، لم يبقَ أمام كثيرين سوى البحر.

البحر الذي كان يومًا رمزًا للسفر والحرية، صار اليوم مقبرة غامضة.

رأيت بأمّ عيني عائلات تباع ما تبقى من ذهبها لتشتري مقعدًا في قارب مطاطي، يبحر بهم نحو المجهول.

كانوا يظنون أن أوروبا هي الخلاص، أن خلف
الأمواج هناك حياة جديدة، لكنّ البحر كان
أقسى من كلّ الحروب.

في الليل، حين يهدأ الموج، تسمع بكاء الأطفال،
وترى وجوهًا متعبة تتشبث ببعضها.

كلّ موجة كانت تهدد بقلب القارب، وكلّ نسمة
رياح كانت تحمل معها احتمال الفرق.

كثيرون لم يصلوا، ابتلعهم البحر بلا رحمة،
وصاروا أرقامًا في نشرات الأخبار، أو صورًا
عابرة على شاشات العالم.

لكن بالنسبة لنا، كانوا أحبّاء، كانوا أحلامًا لم
تكتمل.

كنت أرى البحر كمرآة لليأس.

من يركبه يعرف أنه قد لا يعود، لكنه يركبه لأنه
لم يعد يملك خيارًا آخر.

المخيمات لم تعد تُحتمل، المعاملة السيئة
للنازحين كسرت الكرامة، والجوع والبرد جعلوا
الحياة مستحيلة.

البحر كان آخر باب، بابًا يفتح على الموت أو على حياة جديدة، ولا أحد يعرف أيهما ينتظره. هناك من وصل، لكنه وصل محملاً بندوق لا تزول.

في شوارع أوروبا، صار السوريون غرباء، يحملون قصصًا لا يفهمها أحد، ويعيشون بين حنين لا ينطفئ وغربة لا تنتهي.

وهناك من لم يصل، ترك وراءه خيمة فارغة، وطفلاً يتيمًا، وأمًا تنتظر على الحدود بلا خبر. البحر لم يكن مجرد طريق، كان امتحانًا أخيرًا للروح.

بعضنا اجتازه، وبعضنا غرق فيه، لكننا جميعًا حملنا نفس السؤال في قلوبنا: هل سنجد يومًا أرضًا نعيش عليها بكرامة، دون خوف، دون جوع، دون أن نُعامل كغرباء؟ ما زلت أحمل في صدري ذاكرة بلدٍ كامل، ذاكرة أثقل من الجبال وأعمق من البحر. منذ أن صدحت أولى الهتافات في درعا،

وحتى اليوم، لم تكن حياتي سوى مرآة لما
جرى في سوريا.

رأيت الثورة تولد من رحم الألم، ثم تُسحق
تحت أقدام القمع، ثم تتحول إلى حربٍ
تتنازعها الفصائل والعقائد، ثم إلى مأساة
اقتصادية واجتماعية لا تنتهي، ثم إلى نزوحٍ
يملاً الأرض، وموتٍ يملأ البحر.

السجون كانت أول أبواب الجحيم، حيث
يُسحق الإنسان بلا محاكمة، ويُمحى اسمه من
السجلات كأنه لم يكن.

هناك تعلمت أن الحرية ليست شعارًا، بل روحًا
تنتزع من بين الأظافر.

وحين خرجت، وجدت أن سوريا كلّها قد
صارت سجنًا أكبر، تحيط به الأسوار من كلّ
جانب.

الفصائل التي ظهرت كانت كالأمواج المتلاطمة؛
الجيش الحر رفع راية الوطن، النصرّة رفعت
راية العقيدة، داعش رفع راية الرعب، والأكراد

رفعوا راية القومية.

كلّ راية كانت تقول إنّها الحق، لكنّ الحقّ ظلّ يتساقط من بين أيدينا كالماء.

المعارضة الخارجية انقسمت بين مؤتمرات وفنادق، والمعارضة المسلحة انقسمت بين داعمين وولاءات، فصار الدّم السوري وقودًا لصراعات لا تنتهي.

التدخلات الخارجية جعلت سوريا ساحة صراع عالمي.

إيران وحزب الله جاؤوا بعقيدة المقاومة الزعومة، روسيا جاءت لتثبت نفوذها، تركيا دخلت لتمنع الأكراد من إقامة كيان مستقل، أمريكا ركزت على محاربة داعش أكثر من دعم الثورة، والخليج دعم فصائل وفق أجنداته. كلّ قوّة جاءت تحمل عقيدتها ومصلحتها، وكلّها تركت بصمتها على أجسادنا.

اليوم،

وأنا أكتب من غرفة صغيرة على الحدود، أشعر
أنني لست مجرد فرد، بل شاهد على مأساة أمة.
الثورة لم تكن مجرد حدث سياسي، بل كانت
حياة كاملة انكسرت وتبعثرت.

ورغم كلّ الفصائل والعقائد، ورغم كلّ
التدخلات والدّماء، يبقى في داخلي صوت أول
هتاف: "حرية".

ذلك الصّوت الذي لم ينجح لا السّجن ولا
الحرب ولا البحر في إسكاته.
ما زلت أحلم أن يأتي يوم نكتب فيه روايتنا لا
من داخل الزنازين ولا من بين الركاب، بل من
شوارع تعود لتتنفس الحرية من جديد.
يومها، لن يكون اسمي مظلوم، بل إنساناً حرّاً،
يحمل ذاكرة بلدٍ نهض من تحت الرماد ليكتب
تاريخه بكرامة.

أنا ابن بلدٍ عرف منذ آلاف السنين كيف يعيش
أبناؤه معاً رغم اختلافهم.

في سوريا، كان المسلم والمسيحي والعلوي
والشيوعي والسني والكردي يتقاسمون الحياة
اليومية بلا حواجز.

في الأسواق القديمة، كان البائع المسيحي
يرحب بالزبون المسلم، وكان الكردي يبيع خبزه
بجانب العربي، وكان العلوي يشارك جاره السني
في مواسم الزيتون.

في الأعياد، كانت البيوت تُفتح للجميع؛
المسلمون يزورون جيرانهم المسيحيين في
عيد الميلاد، والمسيحيون يشاركون المسلمين
فرحة العيد، والشيعية والعلويون يوزعون
الطعام في عاشوراء، والجميع يتبادلون التهاني
كأنهم عائلة واحدة.

أتذكر طفولتي حين كنا نلعب في الحارة بلا أن
نسأل عن دين أو طائفة.

كنا نعرف بعضنا بالاسم والضحكة، لا بالهوية.
أمهاتنا كنّ يتبادلن الأطباق في رمضان
والأعياد، والآباء كانوا يجلسون في المقاهي

يتحدثون عن الزراعة والتجارة، لا عن السياسة والطائفية.

هذا هو الوجه الحقيقي لسوريا: بلد التنوع، بلد الحضارة، بلد المحبة.

لكن حين جاءت الفتنة، تغيّر كلّ شيء. صار كلّ طرف يُنظر إليه بعين الريبة، وصارت الطوائف التي كانت تتشارك الحياة تُتهم بعضها بالخيانة أو الطمع.

الفتنة لم تولد من الناس، بل من حب المال والسلطة، من الذين أرادوا أن يزرعوا الكراهية ليحكموا، ومن الذين استغلوا العقائد ليقسموا البلد.

فجأة، صار الدم هو اللّغة، وصار الانقسام هو الواقع، وتحوّل الجار إلى غريب، والأخ إلى خصم.

رأيت السّنة الذين خرجوا أولاً يطالبون بالحرية، ثم وجدوا أنفسهم بين مطرقة النظام وسندان الفصائل المتنازعة.

رأيت العلويين الذين ارتبط مصيرهم بالنظام،
يخافون من سقوطه كأنه سقوطهم، رغم أن
كثيرًا منهم كانوا بسطاء لا يريدون سوى حياة
آمنة.

رأيت الشيعة الذين جاؤوا من وراء الحدود
يقاتلون باسم المقاومة، لكنهم زادوا الطائفية
اشتعالًا.

رأيت المسيحيين الذين عاشوا معنا منذ قرون،
يهاجرون خوفًا من التطرف، أو ينكفئون في
مناطق النظام طلبًا للحماية.

ورأيت الأكراد الذين حلموا بحكم ذاتي، لكنهم
وجدوا أنفسهم في مواجهة مع الجميع،
يبحثون عن هوية وسط العاصفة.

كلّ هذه الطوائف، التي كانت يومًا نسيجًا
واحدًا، تمزقت بفعل الفتنة.

لكنني أؤمن أن هذا ليس قدرنا.

نحن لسنا أعداء، نحن أبناء بلد واحد، جمعنا
التاريخ والجغرافيا والذاكرة.

الفتنة عابرة، أمّا سوريا فهي باقية، وستبقى إذا
عدنا إلى ما كنا عليه: شعبًا واحدًا، مهما اختلفت
أديانه وطوائفه.

علينا أن ننهض بسوريا من جديد، لا كطوائف
متنازعة، بل كشعب واحد يرفض أن يُقسّم.
أن نعيد بناء بلدنا بالحبّ لا بالكراهية، بالعدل لا
بالانتقام، بالكرامة لا بالذل.
أن نكتب روايتنا القادمة لا بالدم، بل بالكلمة، لا
بالفتنة، بل بالوحدة.

سوريا التي عرفت التعايش منذ الأزل قادرة أن
تعود كما كانت، إذا تذكرنا أننا جميعًا مظلومون،
وأن خلاصنا لا يكون إلا معًا.

أحلم أن أرى يومًا تعود فيه دمشق وحلب
وحمص وحماة والقامشلي واللاذقية وكلّ
المحافظات الأخرى لتكون مُدناً للحياة، لا
ساحات للحرب.

أحلم أن أرى أطفالنا يذهبون إلى مدارسهم بلا
خوف، وأن نحتفل بأعيادنا بلا ريبة، وأن نعيش

كما كنا: شعبًا واحدًا، قلبًا واحدًا، وطنًا واحدًا.

أما الآن فستحدث معكم ابنة مظلوم.

مرحبا بكم.

أنا نور ابنة مظلوم.

كنت أكبر قليلاً من طفلة حين دخل أبي السّجن للمرة الثانية، وأصغر من امرأة حين خرج. في السّنوات التي احتجزوا فيها صوته خلف الجدران، كبرت أنا على أصوات أخرى: هدير الطّائرات، زغاريد الأمهات حين يعود ابن حيّنا حيّاً، بكاء الصغار في الخيام، وحكايات الكبار عن بلدٍ يتبدّل مثل وجه السّماء بعد عاصفة.

في بيتنا كانت صورة أبي معلّقة على الجدار، تزداد اصفراراً كلما طال الغياب.

أمي كانت تنظف الغبار عنها كل صباح، كأنها
تنظف الزمن نفسه.

حين بدأت معارك التحرير كنا نسمع أولاً همسها
قبل رعدھا: أسماء مدن تتقدّم في الخبر، ألوية
تتوحد، شباب يتركون مقاعدھم ويتخذون من
الأزقة مدارس للقلب.

كانوا يقولون إن التحرير يبدأ حين تتشابه
قلوب المقاتلين أكثر من أسلحتهم، وأن الراية
الوحيدة التي لا تسقط هي راية الناس.
في حارتنا، كان الثوار يمرّون قبيل الفجر،
يتفقدون الممرّات، يوزّعون بعض الخبز على
البيوت التي لا نوم فيها، يشيرون باليد: الطريق
آمنة اليوم، نكمل إلى النقطة التالية.
كنا نعرف أن المعركة لا تُخاض كلّها بالرصاص؛
جزء منها بالسرعة، جزء منها بالأمانة، وجزء
كبير منها بالدعاء الذي يخرج من صدور
الأمهات مثل بخار حارّ في ليالي البرد.

حين بدأت المعارك الكبيرة، رأينا الخرائط
تتبدّل على شاشات صغيرة في مقاهٍ مكسورة
الكراسي.

أسماء المدن انحنت مثل حروف تتعلّم المشي
من جديد.

الثّوار كانوا يكتبون خطوطهم على الأرض، لا
على الورق: يتقدّمون حين تضعف القذائف،
يحتمون حين تهدر الطّائرات، يفاوضون حين
تكون أرواح المدنيين أقرب إلى الخطر من
فوهة البندقية.

تعلّموا أن التّحرير الأصدق هو الذي يترك بعده
مدرسةً مفتوحة وباب بيتٍ لم يُكسر.

في إحدى الليالي الممزوجة برائحة الوقود
والندى، جاء خبرٌ كالصّاعقة "غداً نقتحم السّجن."

لم تصرخ أمي.

وضعت يدها على الجدار كأنها تحاول أن
تسمع نبض غرفة في بعيد لا يُرى.
كان الثّوار قد أمضوا أسابيع يرسمون الطريق
إلى أبواب الحديد: نقاط حراسة، كاميرات،
ممرات، لحظات ضعف بين تبديل المناوبات،
تفاصيل صغيرة لا يلتقطها إلا من عاش بين
الخوف والصبر.

قالوا إن أكثر الأبواب قسوة تفتح بالمفاتيح
الدقيقة، وأن أدق المفاتيح قلب لا يتردد.
مع الفجر، اشتعلت الحناجر قبل البنادق.
اقتربوا مثل ظل شجرة يعرف ثقل أوراقه.
أول باب تلاشى كأنّ الصدى أكل صوته.
الثاني رفض حتّى النهاية، ثمّ قبل الحقيقة
ومال.

أمّا الثالث، باب الزنازين، فكان يحتاج إلى
نبضة إضافية: همسة قالها واحد من الثّوار وهو
يضع أذنه على المعدن: "يا باب، خلفك إنسان."
كأنّ الحديد استحي.

انفتح فجأةً كأنه باب بيتٍ عاد إليه صاحبه.
خرج أبي مطمئنًا بأنه لن يعود للسجن ككل مرّة.
لا، لن أقول خرج أبي مثل الرجال الذين
يخرجون من العمل عند المساء.
خرج أبي مثل مَنْ يخرج من تحت الماء، يأخذ
أول نفيس كأنه سيبلغ العالم رسالةً عن معنى
الهواء.

عيناه كانتا تلمعان على نحوٍ أعرفه من صورته
القديمة، لكن فيهما شيء جديد: ظلٌ طويل
لطفولةٍ سُرقت، ووقارٌ ثقيل لرجلٍ رأى الموت
ولم يتعلّم منه سوى احترام الحياة.
لم يُعتقل أبي مرّة واحدة .
بل عدّة مرات .
أمّي لم تبك أمامه.

حين اقترب، وضعت كفّها على وجهه كما لو
أنّها تعيدُ رسم ملامحه بذاكرة أصابعها.
قالت: "اترك السجن خلفك، وانظر إلى ابنتك."
نظرتُ إليه، فابتسم، ابتسامةً بطيئةً تُفتح

كنافذة على مدينة فيها شمس تتسلق السقوف.
بعد التحرير، صار لعودة أبي شكل آخر من
المعارك: معركة العيش.

المدن التي تحررت كانت تمشي على عكازين:
الأول أمنٌ يتعلم الوقوف، والثاني خبزٌ يحاول
أن يكفي الجميع.

الثوار أنفسهم صاروا يحرسون المدارس أكثر
مما يحرسون المتاريس، يوزعون الدفاتر
ويعدّلون صفوف المقاعد، يغلقون ثغرات
الجدران بقطع خشبٍ وابتساماتٍ قصيرة.
كان أبي يقول: "أقوى انتصارٍ هو أن يعود
الطفل إلى مقعده."

سقط النظام مثل تمثالٍ تآكل من الداخل، لكن
سقوطه لم يكن نشيداً واحداً؛ كان أصواتاً
كثيرة تختلط، بعضها يفرح وبعضها يخاف،
وبعضها يتساءل: ماذا بعد؟ في الشوارع خرج
الناس، رفعوا الأعلام، تصافحوا مع جيرانهم، ثم
عادوا إلى بيوتهم ليجدوا السؤال الأكبر

ينتظرهم فوق الطاولات: كيف تُبنى دولة لا
تُشبه السجون؟

بدأت المرحلة الانتقالية مثل يومٍ طويل تتبدّل
فيه الطقوس.

لجانٌ صغيرة في الأحياء، محاكم محلية تُقرّر
في الخصومات، مستودعات تُؤمن الدواء،
وورشة واسعة لإعادة فتح المستشفيات
والمدارس.

أبي، الذي خرج من السجن وفي صدره نارٌ
وملح، اختار أن يعمل في لجنة تعنى
بالمفقودين.

كان يكتب أسماء، يراجع مكالمات، يسأل،
يستمع، يواسي، ويعلم من حوله أن العدالة لا
تُبنى بسرعة الرصاص، بل بسرعة الصبر.
لم يكن كلّ شيء سهلاً.

بقيت فلول تنكز الجراح، وبقيت الطائفية تُطلّ
برأسها في بعض الجلسات مثل قطٍ يعود إلى
البيت بلا استئذان.

النَّاسَ الَّذِينَ اعْتَادُوا الْخَوْفَ لَمْ يَتَعَلَّمُوا
الشَّجَاعَةَ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَالَّذِينَ اعْتَادُوا الْبَنْدِقِيَّةَ
لَمْ يَتَعَلَّمُوا سَرِيعاً أَنَّ الْكَلِمَاتَ أَقْوَى حِينَ تُحَسَّنُ
اخْتِيَارَهَا.

كُنَّا نَتَهَجَّى الْوَاحِدَةَ كَمَا يَتَهَجَّى طِفْلٌ حُرُوفَ
اسْمِهِ الْأُولَى.

أحياناً نخطئ، ثم نصحح.

الاقتصاد كان أرض المعركة الصامتة.

الليرة تتعب، الأسعار تركض، الدولار يثقل

الهواء، والذهب يتخفى في أدراج البيوت.

أبي كان يقول: "الفقر لا يملك عقيدة، لذلك

علينا أن نملك نحن عدالةً تليق بالجميع."

طُرحت مبادراتٌ صغيرة تكبر يوماً بعد يوم:

مطابخ جماعية، أسواق رخيصة، تعاونيات

للخبز واللبن، صناديق تُسدّد أقساط المدارس

عن الأيتام، وأيدي كثيرة تُمسك أيدي كثيرة.

في الحيّ، رأينا عودة الطقوس الأولى: المسلم

يرسل طبقاً لجاره المسيحي يوم عيدهِ،

المسيحي يعلّق مصباحاً يلمعُ في ليلة رمضان،
العلوي يشارك في قطاف الزيتون عند صديقه
السني، والشيوعي يُوزّع الحلوى في عاشوراء
لكن بنكهة جديدة: نذرٌ أن تعود البلادُ إلى
طمأنينتها.

الأكراد يفتتحون مكتبةً صغيرةً فيها كتبٌ
بالعربية والكردية معاً، والكلّ يمرّ، يشتري، يقرأ،
يتذكّر أنّهم كانوا وما زالوا قادرين على العيش
جنباً إلى جنب.

في المساء، كان أبي يعود من عمله في اللجنة
وقد التصق بكتفيه تعبُ النهار.
يجلس، يشرب الماء، ثمّ يبدأ حديثه الذي لا
ينتهي: "الوحدة ليست شعاراً نعلّقه على
الجدار.

الوحدة خبزٌ نتقاسمه، ودواءٌ نوفره للجميع،
وقانونٌ لا يثار بل يُصلح، ومدرسةٌ لا تُسأل فيها
الطفلة عن طائفة أبيها.

"كنتُ أصغي، أكتبُ بعض كلماته في دفاترٍ

كثيرة، كأَنني أَعَدُّ سيرةً لبلدٍ يتعلَّم المشي بعد جرحٍ طويل.

أَمَّا الثوار، فقد ظلُّوا، لكنَّهم استبدلوا مواقعهم: صار بعضهم رؤساء بلديات صغيرة، وبعضهم مديرو مدارس، وبعضهم موظفو مراكزِ صحَّة، وبعضهم شعراء يكتبون عن معنى أن تحرس وطنك بقلمٍ لا يشيخ.

حين نلتقيهم في الشوارع، لا يحملون سلاحاً، يحملون مفاتيح، يفتحون أبواباً، يغلقون فجوات، ويذكِّرون النَّاس أن التَّحرير الحقيقي هو أن لا تحتاج إلى محرِّرٍ من أحد. أحياناً نُخطئ. نعم، نقسو في العجلة، ننسى أن نعتذر، نرفع الصوت حين يكفي الهمس، نتذكَّر الجراح أكثر مما نتذكَّر الشفاء.

لكنَّ أبي كان يُعيدنا إلى النَّاعم من القول: "كلُّ البلاد التي شُفيت، تعثَّرت أولاً.

المهم ألا نُحوِّل العثرة إلى قناعة." أنا ابنة مظلوم، وقد رأيت أبي يخرج من

السّجن كما يخرجُ النهار من شقوق اللّيل.
رأيتُ معارك التحرير تُكتبُ بالأسلحة الخفيفة
وبالقلوب الثّقيلة، ورأيتُ النظام يسقط مثل
شجرةٍ فقدت ماءها، ورأيتُ المرحلة تتشكّل
مثل خبزٍ يُخمّر بالوقت والصبر.

واليوم، أرى بلادي واقفةً، ليست كاملة، لكنّها
تقرأ نفسها بصوتٍ أعلى، وتتعلم أن التّعايش
الذي عرفناه ليس قصةً قديمة، بل عهدٌ جديد
نكتبه كل صباح.

أضعُ رأسي على كتف أبي حين يتعب، وأقول:
"يا أبي، نحن جميعاً أبناؤك."

يبتسم، ويجيبني بجملةٍ حفظتها: "نحن جميعاً
أبناء هذه البلاد، والبلادُ تنهض حين تُحسنُ
تربية أبنائها على الحبّ والعدل.

"أكتبُ الجملة على ورقةٍ وأعلّقها فوق الصورة
القديمة التي لم تعد تصفرّ؛ صارت تُشرق، لأنّ
وجه أبي عاد إليها، ولأنّ وجه سوريا بدأ، أخيراً،
يتعلّم الضحك بلا خوف.

هذه بلاد العزّ...

بلاد الإباء...

البلاد التي بارك الله بها ونورها بنور الحقّ
المبين .

الكاتبة: منى قبس دخيل.

"رسائل حبّ من كاتبات مبدعات من اليمن
وسوريا ومصر إلى سوريا الحبيبة".

«هي انتمائي»

سوريا دولتنا العربيّة العريقة، مصدر الكفاح،
والشُّموخ، مصدر الصُّمود والقوّة، مصدر الفخر
يا فخر الأُمّة العربيّة.

لم أَر في ملامحكِ إلّا البشاشة والطّيب،
يرافقني الدّهر كلّهُ. دمشق، يا قطعة تسكن
أيسر صدري، يا دُرّ قلبي كم به حُبّاً لدمشق، كم
غاص الشّوق في قلبي لحلب، تعبت من الحبّ
لبلاد لا تراها عيني، ولكنّها تستقر بالفؤاد. وإن
كان شوقاً فشوقي كلّهُ سورياً وأراضيها،
جفوني استوطنها الحزن من بعدك، فهل لي بعد

هوائك من طيب، فكيف لزهوري أن تزهر في

أرض غير أرضك، خطاي تلعثمت على الثرى
من بعدك، فياليتني طيرًا أُحلقَ بسمائك، ويا
ليتني زهرة في بساتينك، أزهر وأرتوي من
مائك العذب، دمشق الأرض الأحبّ لصلاح
الدين؛ بل أرض مولده، لقد كافح من أجلك لكي
تسمو ويعلو شأنك.

أرض مكرمة طيبة، وأهلها يملؤهم الحب
والكرامة والعزّ، والصُّمود، ملؤهم الرّحمة
والعطف.

فوالله لراها صلاح الدين الأيوبي الآن، لتبسّم
وغمر السّلام قلبه.

للكاتبة/مريم الذّبحاني.

«وجع لا ينكسر»

سوريّتي، يا وجعًا يسكننا كما يسكن الشَّهم في
قلب الجنديّ، يا أرضًا ما انكسرت رغم كلّ
الرَّياح، يا مهد الحضارات ومحراب الحنين،
فيك وُلد التَّاريخ، وعلى ترابك خطَّ الزَّمان أوّل
حروفه، وفي دروبك سارت قوافل الحلم
والحرب والحب معًا.

كم مرَّةً نذفت ولم تنحني، وكم مرَّةً احترقت
لكنَّك ازدهرت وخرجت من الرُّكام، كما يخرج
طائر الفينيقي من الرَّماد،
جميلةً رغم الألم، شامخةً رغم الجراح.
فيك تعلَّمتنا أنَّ الدُّموع لا تُضعف، بل تُطهِّر،
وأنَّ من عرف وجع الأرض صار قلبه من نورٍ لا
ينطفئ.

في دمشق، ما زال عبق الياسمين يروي قصَّة

البيوت التي قاومت الصّمت،
وفي حلب، يرنُّ في الحجارة صوتُ الشُّوق،
كأنَّ الجدران تذكر من مرَّ من هنا.
وفي حمص، ودرعا، ودير الزُّور، واللّاذقيّة،
تنبض الحكايات بين الدّمار والرّجاء، كأنَّ
الأرض تهمس: أنا ما زلت حيّة، أنا سوريا.
كم تشبهين القصيدة التي تُكتب بالحسرة
وتُختَم بالأمل، ففِيكَ تختلط رائحة الخبز
برائحة الرّماد،

والضحكة بالبكاء، والرّحيل بالعودة.
كانكِ امرأةً من نورٍ وغيث، رغم كلّ ما مرَّ بكِ
من ليلٍ طويل، ما زال الفجر يليق بكِ.
تنهضين من تحت الرُّكام لتوزعي دفء الحياة،
كانكِ تقولين للعالم: أنا لم أخلق لأموت، بل
لأدهش، لأزهر، لأبقى.

سوريّتي، يا وردةً في وجه النّار، حكايةٌ لا
تنتهي، ووجعًا لا يُنسى، ستبقين في القلب
وطنا يُصلي له الحنين، ويحرسه الدُّعاء إلى

الأبد.

«سحر لا يزول»

سوريتي، يا أرض الضوء والعطر، يا أنشودة
التاريخ التي لا تُنسى، يا لوحة رسمها الله من
زيتون وياسمين، وثلج ونار.
فيك يمتزج الحنين بالذهشة، كأن كل ذرة من
ترابك تحفظ سرّ الوجود.

فيك دمشق تهمس كالعروس المتوجة
بالياسمين، وأزقتها العتيقة تفوح برائحة الورد،
تسيرين فيها فتسمع قلبك ينبض مع كل حجرٍ
ونافذة، وأذانٍ يعلو من بعيد.
كل بيت فيها حكاية، وكل زاوية ممرّ نحو ذاكرةٍ
تبتسم برغم الغياب.

وفي حلب، ترتفع القلعة كملكة على عرشها،
تروي قصص الثّجار والعشاق،
وتشمخ كأنّها تقول للعالم: أنا من صنع التاريخ.
بين أسواقها القديمة، وسجّادها، وألحان عودها،

تنام روح الشرق في سلام جميل.
أما اللاذقية، فهي عروس البحر التي تغسل
وجهها بموج الفجر، تضحك الشمس على
شطانها، وتغني النسائم على مرافئها، كأنها
تعزف لحن الحريرة، فهناك البحر لا ينكسر،
والسمااء لا تكف عن الحب.
وفي حمص، ودرعا، ودير الزور، تزهو الأرض
رغم الوجع، وتثمر رغم التعب،
كأن الجمال فيك طبع لا يمحى، يولد من الحزن
كما يولد القمر من الظلام.
سوريّتي، أنت أنشودة الفجر حين يغني فوق
المآذن، وأنت صلاة الأمهات حين يرفعن أيديهن
للسماء.
فيك تولد القصائد، ومنك تتعلم الورود كيف
تصبر على الريح.
لا تشبهك أرض، ولا تشبهك سماء، فأنت الوطن
الذي خلق من الشعر، والنور، والحنين.
سوريّتي، يا وجعًا نكتبك حين نحزن،

ويا حبًّا نذكرك حين نبتسم، ستبقين أجمل
الحكايات في دفتر العمر، وستظلين دائماً، رغم
كل شيء، قصيدة لا تموت.

الكاتبة: سهام الهمداني.

«هي أمي»

بلد الحضارات سورياً، وتراثك نسج من حب
وعلم، تعتقت حاراتك برائحة ذاك الورد الأبيض
"الياسمين" فكان رمزاً لنقائك، وأصل ثرابك،
وطيب أهلك، امتلأت طرقاتك بخطوات أهلك
الذين يهيمون بحبك، دمشق تأصلت داخل دمي
فشغفني حبها، ويكفيها شرفاً بأن النبي -صلى
الله عليه وسلم- قال: "طوبى لمن له مرتبط
خيل في الشام."

نعم، قد مرّت بسنوات عجاف جعلتها تهرم، إلا

أني أقبلُ تجاعيد يديها، والخطوط الذي حُفرت
على وجنتيها.

من دمشق الأصيلة إلى حلب الشهباء، وإلى
حمص الأبيّة، وإلى نواير حماة نعانق زيتون
إدلب، وبرتقال اللاذقية، وبحر طرطوس، والرقّة
الشامخة، وأصالة دير الزور.

أنا ابنة العشرة أعوام، عندما بدأ عهد الألم
نشأت على صوت الانفجارات، ورائحة البارود
على الخوف، والثوثر على تهدّم البيوت في
لحظة، ثم بعد عامٍ من الألم، سُرّق منّي دفء
فؤادي "أبي" شعرتُ بقهرٍ لا تكفيني كلَّ
الأبجدية لأصفه، رُقّ قلبي أكثر لأمي دمشق، كم
سُرّق منها أبناء بالموت، والباقيين رحلوا لاجئين،
كم سُرّق منها مساجد، ومنازل، ومنارات،
وشوارع. بكتهم بحرقّة حتّى

جفّ بردي فازداد ألمها، وحُرم قاسيون من
ضحكات الأطفال، وابتسمات العجائز، ورائحة
قهوة النوفرة، فابتلع غصّته بصمت عميق، أين

قلعة صلاح الدين التي أقفلت أبوابها عن
أحبائها، وجعلوها تدخل في سبات عميق؟
نثروا على طرقاتها شياطين بهيئة أشخاص
فحُرمت حاراتها من الأنس،

انتظرنا أربعة عشر خريفًا من الألم حتى أتى
نصرُ الله، شعرنا بالفرح العامر رُغمَ آلمنا، إلى أن
فُجعنا بصيدنايا، وكأنَّ الظالمَ أبقى أشباحه
لثذيقنا مرارة الألم والخوف، كبرت ابنة العشرة
أعوام، وبدأت رحلة البحث مع أخويها، وكلَّما
تعمَّقنا كانت فاجعتنا أكبر، كُنَّا نرى أدوات
التَّعذيب، ونستحضر أنينَ أبي وألمه، وجسده
الدامي، وبعدَ شهرٍ من الصِّراع كدثُ أفقُ نفسي
وأخوي، سلَّمنا أمرنا لله، وتمنَّينا أن يكون توفِّي
من أوَّل يوم، ولا يكون ذاق من هذا الألم.

رحمك الله يا أبي بقدر شوقي لك.

الكاتبة: يارا أحمد سرور.

«سلامٌ سوريّ»

يا تاريخَ الحضارات، و منبع اللُّغات، من حمص،
إلى دمشق، ومن اللاذقيّة إلى حماة، ومن درعا
إلى إدلب، فيكِ تزغردُ الطُّيور فرحةً بأنَّ الله قد
أنعم عليها ببلدٍ مثلك.

فالسَّين: سَكِينَةُ الرُّوح حين تَضجُّ الدُّنيا، هي
النَّبض الهادئ الذي يُطمئن القلب أنَّ للجمال
وطناً لا يُهزم.

الواو: وطنُ الحنين، كلّما نطقَتْ اسمه سالت
الذِّكريات عَذْباً، وارتسمت ملامح الأمان على
وجه الغياب.

الرَّاء: رائحةُ الياسمين حين تختلط بالذَّمع
والضحكة، هي دمشق التي لا تشيخ مهما مرَّت
عليها العصور.

الياء: ينبوعُ الحنين الذي لا يجفّ، تُسقى منه

الأرواح المشتاقة، وتعود بأملٍ جديد.

الألف: أمُّ الدُّنيا في الصَّبر، وطفلةُ الشَّمس التي
لا تنطفئ، مهما غَطَّها ليل الحروب.
فقد عشتِ في ماضٍ أليمٍ وسحيق، كنتِ تنزفين
كلَّ يومٍ، ولا تدريين من أين تأتيكِ الطَّعنات
لكثرةِ أعدائك، آهاتكِ أسمعُ الأصمَّ، شهدتِ
أيامًا عجاف لا يقوى على إستحمالهنَّ أحد،
ولكنَّكِ بفضلٍ من الله، ثمَّ بصبركِ، تغلَّبتِ على
مخاوفكِ، ووقفتِ مرَّةً أخرى على قدميكِ
بنفيسِ جبَّارة، فها هو اليوم يفوح من بِقاع
أرضكِ الياسمين، ونسمعُ الزَّغاريدُ من كلِّ بيتٍ
ذاق مُسمَّى الأسر، فلهِ دُرُّكِ يا سوريَّتي،
فالسَّلامُ على قلبكِ المُرهف حتَّى يطمئنَّ.

گ/ سارة أحمد.

«من صنعاء إلى دمشق»

من مدينة تُغني للغيم رغم انكسارها، إلى أخرى
تضيء ليلها بالياسمين رغم الرماد، أكتب إليك
يا دمشق، لا كعابرة؛ بل كمن تحمل في صدرها
نصفك الآخر.

أحمل في قلبي نفس البنّ، لسنا جارتين على
الخريطة، لكننا شقيقتين في الوجد، في الحلم،
وفي الرّجاء.

سوريًا، يا وترًا يرتجف في ليالي الشّام، يا
ياسمينًا تثبت من شقوق الجدار، كم من فجرٍ
تأخر، وكم من دعاءٍ صعد باسمك، وأنّ في
ذاكرتي طفولةً كانت تحلم أن تركض في أزقتك
القديمة، سوريًا، ستعودين كما كنت؛ بل أجمل،
فالأرض التي تنزف، تثبت زهرًا لا يُكذب الضّوء،
وتكتب على جبينها: هنا مرّ الحلم، ولم يمت.

الكاتبة: حلا الصّهبانيّ.

"بيت من الجنة "

توسّدت عيناى فيك واثكأت ومن جمال زخرفك
هامت وما وهنت .

يطيب العيشُ في أحضانك السّمراء البيضاء
ففيه الثّاريخ يخفض جناحيه لعمرانك وصحفه
خجلًا انسكبت.

أأكتب عن أحجارك التي تشبه الكتب أم اكتب
عن أشجارك التي تعانق السّحب.
أم أنسج لقلبي أجنحة تحملني لأخترق أسرارك
والحُجب .

أدراجك، أبوابك، نوافذك المُطلّة على قلبي
سرقت من شرفاتي الهيام لغيرك وللشوق بابًا ما
وصدت.

في عناقى للجُلنار نارى وفي الرّيحان أتيه

ويشمل قلبي وأوراقى بعشقتك احترقت.

الياسمينه تغريني بطلّتها وتخطف من فاهي
الشّعـر إن اعتنقت.

تنادينني: أحبينني، اسقيني وارويني فمني
الزّهور قد سلبت .

صباحي يحلم بروض رواقك ورائحة القهوة
منسأة تقودني لفنجانى فأسمع همسًا وإن
صرخت.

أمامي الثّانـرج والكباد والسّفـرجل يتمايل على
غناء فيروز بينما قطرات النّدى ترتصف على
معاصم الزّهور بعدما اختنقت.

تسحرني رشفة ماءٍ من أنية الفخار التي
تتصبب عرقًا وتجـرني كأسير يداه قيّدت .
بين جدرانك يابيتُ أحلمه تراودني الأشعار و
لسطوري الحروف استسلمت.
أريكة هنا وأرجوحة هناك .

نافورة ماء صغيرة تداعب سمعي كأنغام في

سَلَم انتظمت.

أحلم بكَ حقًا كبيت من الجنة فهل لي فيك
موطنًا؟ أنا عاشقة الشَّام، من في تعلّقها الأمثال
ضُربت .

إنني يتيمة يا دمشق فهلّا تبنيّتي وضممتِ
رفاتي إن الرّوح لربها صعدت.
لا أريد الشّفاء من علتي يا شام، ففؤادي متيم
وبملا محك دماؤه غرقت.
أين أنتِ منّي؟ إنّي أتوق إليك وكلّي ونصفي
وبعضي في محاربك اعتكفت.

"صندوق الطّفولة"

لم أرَ وجهك إلّا في عينِ الطّفولة المُبكرة، لكنّ
جلدي لمس ثرابك وعانقَ نسماتك.
كان عناقًا دافئًا، ترك في روحي طيفًا رافقني
طوال حياتي .
لازمني وجلس على عرش قلبي .

ذاك العِناق، أخذ قطعةً من لوحتي ليُرَمِّمها لكنّه
لم يُعدها إليّ، كان ينتظرُنّي لأعودَ وأُستعيدّها
بنفسي .

مازلتُ مثقوبةً الهوية، أرقّعُ رُوحِي بخيطِ الأمل
حتّى ألقى حبيبتِي دمشق .

إنّي طفلةٌ لم تُلَطَّخْ بالحياة بعد، سارت بقدمين
من ريش بلا ظلّها المُنكسر .

زاحمتِ الغيوم ورافقتِ الطّيور وأسرتِ بمفاتيح
الحُبِّ لصديقاتِها الورود .

ظنّنتُ بأنّ العشق موجود؛ فبحثت عنه خارج
دائرةِ المفقود .

تعبت من البحثِ دونَ جدوى ورماها النّوم
واستوطن جفونها .

في منامها رأت حُلماً غريباً .

رأت نفسها تطير فوق قاسيون فيحضانها
ويُسكّنها بين ضلوعه ويقول لها: أنت الآن ابنتي
ووريثتي .

يقطف لها زهور الياسمين وينسجها تاج على

رأسها .
كان حُلماً جميلاً حقاً .
فتحت عينيها فإذا بزهرة ياسمين صغيرة ترقدُ
على صدرها .

"مصير"
انتفاضة الزيتون تتنفس
قيامه البرتقال تؤجل
الياسمين في العناية المشددة
ستارة المسرحية ممزقة
والجمهور نائم
يحلم بفوز دون عناء
فوز على طبق
من فضة
يُدق جرس النهاية
وما زال الجمهور نائماً
يحلم و يحلم .

الكاتبة: منى قبس دخيل

"الخاتمة"

هناك الكثير من القصص التي لم تروى بعد .

الكثير من الآلام .

الكثير من القهر .

حروف غيّبها الموت أو شتتها الخوف .

كلمات تبخرت بنار الحرب .

فكل رواية ولها بداية ونهاية لكنّ سوريّتي

تكتب النّهاية بقلم من ذهب وتحفر التاريخ

وشمًا على زنود أبطالها وبسمة على أفواه

أطفالها.

وكلّ ياسمينّة ستنجب نصرًا ومُحال أن ينتهي

الياسمين .

رسائل حبّ وحرب بقلم مجموعة كاتبات.

سوريا منذ الاستقلال إلى يومنا هذا بقلم

منى قبس دخیل.

إشراف: منى قبس دخیل.

تدقيق: إيمان العبدالله " رفيقة اللغة "

تصميم الغلاف: أحمد عبد الجليل غالب.

تنسيق: أبرار عبد الجليل غالب.

مع تحيات فريق ضم وسكون.

الدّين لله والوطن للجميع.

لظالما كانت صفعاتُ الخيبة كماءٍ بارد
 ينهمرُ فوق وجوهنا ليوقظنا ويرمينا
 واثبين فوق جثثِ اليأسِ المزعوم.
 لظالما كانَ الغروب رداءً يسترُ عورةَ
 الوحدة وينذرُها بفجرٍ جديد.
 لظالما كان الرماد تربةً خصبةً لجمراتِ
 الأملِ الملتهبة .

لا بدايةً موفقة بدونِ نهايةٍ جائرة تجتثنا
 من جذورنا وتنبتنا من جديد .
 بداية أمل جديدة لك يا وطني .